سلسلة شرح

مدارج السالكين

للإمام ابن القيم -رحمه الله-

د. أبو بكر القاضي

المستوى الأول: (من منزلة اليقظة إلى منزلة التوبة)

www.abobakrelkady.net
abobakrelkady AboBakr Elkady

المحاضرة الخامسة

«السلام عليكم ورحمه الله وبركاته»

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم، ثم أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثُمّ أما بعد:

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فاعلم أن العبد قبل وصول الداعي إليه في نوم الغفلة قلبه نائم، وطرفه يقظان فصاح به الناصح واسمعه داعي النجاح، وأذن به مؤذن الرحمن حي على الفلاح"..

فأول مراتب هذا النائم اليقظة والانتباه من النوم، وقد ذكرنا أنها انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، وصاحب المنازل يقول: "هي القومة لله المذكورة في قوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ} [سبأ:٤٧]

فالإنسان يكون في هذه الحياة نائم القلب عن أصل القضية التي خلق من أجلها، وهي أنه خلق لكي يعبد الله تبارك وتعالى لا لكي يلهو، أويلعب، أويأكل، أويشرب، وإنما خلق ليكون عبد، وهذه المسألة أكثر الناس غافلون عنها، ولا يتنبه لها إلا من يهديه الله تبارك وتعالى وإلا لا يتداركه الله تبارك وتعالى برحمة وترى الناس كلهم {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} [الكهف:١٨]، رقود القلب، ونوم القلب، وغفلة القلب.

{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} [الأنبياء:١،٢]، ها هي قلوبهم انحرفت عن الطريق بالكلية، وقد خرجوا عن الإيمان بالكلية فهؤلاء ليس فقط نوم، بل هو موت. موتى القلوب، ماتت القلوب ألقي عليها بالتراب، وليس عندهم خبر، قلبه مات ودفن ومطلعش في الجنازة ولا عنده خبر ولا عنده وعي إنه مات {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ} [١٩-٢٣]

من اللي في القبور؟! أكيد النبي ﷺ لم يكلف أن يذهب إلى القبور ويدعوهم إلى الله، وإنما كلف أن يدعوا الأحياء {لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا} [يس:٧٠]، ولكن اللي في القبور دول هم الكفرة ماتت قلوبهم ودفنت في القبور، وأصبحت أجسادهم قبورًا لقلوبهم.

قبر يمشي على الأرض، مش بس كده قلبه مات وتعفن وظهرت الرائحه العفنة في الكلمات والأفكار والسلوكيات يبقى ده إيه؟! ده (الغفلة) (الموت) موت القلب وهي للكافر وعندنا غفلة ثانية وهو: **"القسم الثاني من الغفلة:** وهي النوم التي تقع على العصاة حين يعصي الإنسان"

يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: "لولا غيبة العاصي وقت المعاصي لكان كالمعاند"؛ الإنسان اللي بيعصي ربنا ده مش في وعيه ده في غيبوبة، لو كان في وعيه وفاهم يعني إيه أن الله من فوق سبع سموات ينظر له، وأن القبر أمامه، وأن ملك الموت وراءه؟! يبقى يعني كده بيعند بقى لكن هو في الحقيقة غافل عن كل ده.

ماشي في الشارع لقى المرأه بتعدي يقول: بص على الجمال، بص على الحلاوة، بص إيه يا بني! الله يقول: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} [النور:٣٠]، وأنت بقى أعرضت عن الله الذي ينهاك من فوق سبع سماوات وبتبص ومش بس كده، وإنت فرحان، وفرحك ده أشد من المعصية.

طيب لو أبوها خبط على ظهرك، وقال لك بتبص على إيه؟ هتختشي ولا مش هتختشي، هتتكسف ولا مش هتتكسف؟ هتتكسف طيب ليه مش مكسوف من ربنا؟!

شوف ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول: "ولوجل قلبك حين يحرك الريح ستر بابك وأنت على الذنب أعظم من الذنب"..

بيتكلم مكالمة مش كويسة ودخلت زوجته عليه، يغير قوله ويقول: "إيه يا أبو برعي المعاد امتى" أصلًا بيكلم امرأة، ولكن علشان زوجته دخلت عليه.. اه إنت عندك بقى هيبة زوجتك في قلبك أعظم من هيبة الله!

أما ريح تحرك الباب، أويسمع خطوات على السلم يخاف وهو على الذنب، ومش خايف من الله الذي فوق سبع سماوات ده أعظم من الذنب.. **اه يبقى ده في غيبوبة ده اسمه إيه؟!** ده اسمه نوم علشان كده قولنا (صح النوم)؛ صح النوم قبل ما يفوت الأوان، ويأتيك الموت وأنت على ذلك.

"القسم الثالث من الغفلة: هي سنة الغفلة"

يقولك: أنا غفيت، أنا لسه عيني هتغمض دي بقى سنة الغفلة دي للمؤمن، يعني مفيش حد منا مش بتجيلوا سنة الغفلة اللي هي الإغفاءة دي، على علشان كده السؤال اللي اتبعت يوم ما كنا بنتكلم عن صح النوم "إنه أكيد كل واحد منا بيغفل"، أقولك: كلنا بنغفل بس أنا مش عايزة كل ما تيجي

تنام تشد اللحاف، وتقفلوا النور يكون النوم كده اغفاءة، ولما تيجي تنام نام على الطريق علشان تلاقي حد يصحيك.

قال ابن القيم: "ولا بد من سنة الغفلة، ولكن كن خفيف النوم، فإن حراس البلد يوقظون"

مين هما حراس البلد؟!....الدعاة، والوعاظ.

"لا تغط؛ فإن من غط نقض وضوءه"، يعني متنامش نوم جامد.

"نقض وضوءه": الوضوء يعني طهارة قلبك، طهارة قلبك تتنقض لو نمت نوم مستغرق علشان كده مثلنا مسألة اليقظة بحديث النبي ﷺ:"يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ" [البخاري ومسلم]

إذا نام بني آدم عقد الشيطان على قافيته ثلاث عقد عليك نم وعليك ليل طويل، نم وعليك ليل طويل، نام وعليك ليل طويل، إذا قام وذكر الله" بإيه؟! يذكر الله ويقول: " الحمد لله" اللي هو أول نور من أنوار اليقظة إلى هي إيه؟ "لحظ القلب إلى النعمة" إنه يشوف النعمة يشوفها، ويحدق عينه فيها، أي يبحلق، يبحلق عينه ولا يبحلق عين قلبه؟! يبحلق عين قلبه.

قلنا بقي لما تيجي تقوله: احمد ربنا، يقولك: احمد ربنا على إيه؟!

- احمد ربنا إن أدالك زوجة وأولاد، يقولك: ولكن كل الناس عندها زوجة وأولاد إيه المشكلة؟!

- احمد ربنا إن إنت بتمشي على رجلك، يقولك: كل الناس بتمشي على رجلها، إيه الغريب في كده؟!

- احمد ربنا إن إنت بتسمع بودانك، يقولك: كل الناس بتسمع بودانها، عادي يعني!

ده امتى هيفهم الكلام ده؟! لما يقع وينكسر، ولما يقوم من النوم يلاقي ودانه مسدودة مش عارف يسمع يفهم ساعتها.

اه "لحظ القلب إلى النعمة على اليأس من عدها": يجي يعدها ما يعرفش يعد.

"والوقوف على حدها": يجي يوصفها ما يعرفش يوصفها.

"والتفرغ لمعرفة المنة بها": يفرغ نفسه ويفضي نفسه إن هو يعرفها، ويعرف منة ربنا عليه بها، وما يعرفش يجيب آخرها، وإيه كمان؟!

"والعلم بالتقصير في حقها": إنه هو يعرف إنه مهما عمل مش هيعرف يشكر نعمة ربنا، وإن هو عاجز عن الشكر أنا عاجز عن الشكر؛ فإذا قام فذكر الله يبقى نور "لحظ القلب إلى النعمة" ده يساوي إيه؟! إن هو يذكر ربنا لما يقوم من النوم وبعد كده إيه؟! ده توضأ حلت عقدة.

إية الوضوء اللي هو النوع الثاني من أنوار اليقظة اللي هو إيه؟! "مطالعة الجناية" يعني إيه؟!

أقول لك: قال الهروي رحمه الله: "الثاني: مطالعة الجناية، والوقوف على الخطر فيها، والتشمير لتداركها، والتخلص من رقِها، وطلب النجاة بتمحيصها"..

إحنا جايين النهاردة علشان نقولك: احنا عايزين نتوضأ اللي هو نور إيه؟! اه عايزين نبدأ صح، سيبك من العك، سيبك بقى من النوم، سيبك من الهمبكة، والسير المنحرف، والسير الغير ثابت.

عايزين ننطلق إلى الله تبارك وتعالى بكل قوة.

أكبر حاجة، وأكثر حاجة تخليك زي الصاروخ في الطريق إلى الله: هي محبته.

لما يطلع صاروخ إلى الفضاء، إزاي الصاروخ بيتغلب على قوة الجاذبية؟! قوة الدفع تبقى أقوى من قوة الجاذبية.. إنت لما تيجي عايز تشق طريقك صح لربنا، وعايز تبدأ صح، وعايز تلتزم، ومش عايز تلتزم بصورة بس كده:

- عايز تلتزم حقيقة.

- عايز تقترب فعلًا من الله.

- عايز تقترب من الجنة.

- عايز تنظف نفسك.

- عايز تغسل قلبك.

- عايز تبقى نظيف.

بقول لك: ده إنسان نظيف، يعني إيه إنسان نظيف يعني بيستحمى يعني؟! لا يعني معندوش غل، معندوش حقد، مابيسرقش حد، ما مبيبصش لحد، مش طماع دي مفاهيم الناس، أنا بقى عايز أبقى إنسان نظيف.

قلتلكم: الممثلة اللي تابت وكانت بتبص على أفلامها بعد ما تابت كانت بتقول إيه؟!..كم كنت قذرة؟! قد إيه كنت قذرة؟!

- فين القاذورات دي؟! قاذورات المعاصي.

- فين النجاسات؟! نجاسات القلوب من الشرك، والكفر، والنفاق، والعصيان، طين محتاج إيه؟! تنظف نفسك منه.

أكثر حاجة اللي هو قوة إيه؟! قوة الدفع دي اللي هي محبة الله، ولو تفتكروا المرة اللي فاتت قولنا: إن محبته عزوجل تنتج من حاجتين:

"أبوءُ لكَ بنعمتِكَ علَيَّ وأبوءُ لكَ بذُنوبي" [ابن حبان]

- كل يوم يشوف نعمة ربنا عليه، ويشوف ذنبه.

- يشوف ستر ربنا عليه ويشوف ذنبه.

آه فاكرينك صالح، فاكرين تقي يبص لنفسه كده لو تعرفوا قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "لو تعلمون من نفسي ما أعلم لضربتموني بالنعال" انضرب بالجزم طيب ده ابن مسعود -رضي الله عنه- أنا وأنت نضرب بإيه بقى؟! نضرب بالشباشب، واللي يحب النبي ﷺ يضرب.

محمد بن واسع سيد التابعين من أكابر التابعين كان يقول: "لو كانت للذنوب ريح ما طاق أحدكم مجالستي".. لو الذنوب يوجد ليها ريحة محدش يقدر يتكلم معك، كل الناس هتهرب.

عارفين الراجل بتاع جزاك الله خيرًا، دخل المسجد فسجد في الحتة اللي واقف عليها اللي قدامه، والشراب كان ريحته مش حلوة، فسجد فبعد الصلاة الراجل قال له: أنا آسف جدًا الشراب مكانش ريحته حلوة، فقله: جزاك الله خيرًا من قلبه، كأنه بتنفس وهو بيتكلم.

تخيل بقى لو ديه مش ريحة العرق لا دي ريحة الذنوب الناس هتعمل فيك إيه؟! ده محمد بن واسع، ده الحمد لله إن ملهاش ريحة؛ عشان كده لازم يكون دائمًا من دعائك أن تقول: "اللهم استرنا واجعل تحت الستر ما ترضى به عنه".

لما تشوف الناس معجبة بيك، ولايك، وشير، وريتويت هما بيعملوا لايك وشير ليك إنت، لا بيعملوا للستارة اللي ربنا يحميك بها.. اللي ربنا سترك بيها؛ عشان تعرف اسم الله الستير.

"إِنَّ اللَّهَ حيِيٌّ سِتِّيرٌ" [المصدر: هداية الرواة] اسم الله الستير: إن ربنا يسترك لكن الذنوب كثيرة، هتشوف نعمة ربنا وتشوف الذنوب تقول إيه؟! أنا مش بني آدم كل دي نعم ربنا عليَ وفي الآخر اعصيه عشان كده الفضيل ابن عياض كان بيقول إيه في مناجاته يوم عرفة؟ يمسك لحيته ويبكي ويقول: "واسوأتاه منك وإن عفوت"..

يا كسوفي منك حتى لو عافيت عني ليه؟! هو أنت أصلًا مذنب، وربنا بينعم عليك وإنت ولا تبت ولا شكرت النعمة، وكمان سيعفو عنك..... إنت موقفك هيكون إيه؟!

اه مكسوف حتى لو عافيت مع كل الكرم ده يا رب وأنا ما بفهمش

- بروح اجري وراء المخلوقين.

- واللي بيجري ورا واحدة.

- واللي بتجري ورا واحد، بيجري على فلوس.

- واللي بيتعارك على شقة متر في مترين، وسايبين ومعرضين عن أصل خلقتهم، وما من أجله خلقوا!

اه تلاقيه زعلان، وتعبان، ومكتئب!....مالك يا عم، مالك يا عم الهيمان؟ يقول لك: الحب بهدلة، تعبان والله تلاقيه بتحسوك كده وتعبان، مالك ياابني؟ سبتني ومشيت، والثانية تلاقيها تعبانة ومكتئبة مالك بس؟! سبني وراح، متعلقة بإيه؟!..... متعلق بإيه؟!

بص بص كويس الطريق أمامك فر إلى الله، اهرب إليه، اهرب إليه بكل جراحاتك، بكل آلامك، بكل أحزانك، بكل همومك، مستني إيه؟!.....مستني إيه؟! ابدأ، وامشِ وعلى قدر حبك له على قدر ما هتمشي.

بيقول لك: الإنسان أسير الإحسان، لما يبدأ بقى الإنسان يشوف، يقول: أنا ياما أكرمته وما اعترفش بالجميل اديتوا، ياما أديته ومطلعش عدل، ما طلعش أصيل..

يبقى بص بقى لي ياما أداك وأنت اللي مطلعتش جدع، ولا أصيل، ولا ابن بلد يعطيك زي ألف جنيه كل يوم، ألف جنيه كل يوم، ألف جنيه، ألف جنيه وأنت ولا أنت هنا وحتى بخلان عليه بقلبك، وياريت الموضوع يتوقف عليك لا، ده "لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ؛ ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا" [مسلم]

عباده سواك كثير، وأحسن منك واللي عندك عند غيرك وأكثر بس هو تبارك وتعالى يريد أن يرحمك بس حط نقطة. {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} [البروج:١٤]، بقول لك: يتودد إليك بالنعم، وتتبغض إليه بالمعاصي، هو يتودد إليك.

أنا أعرف إن الواحد بيتودد لواحد تقول عنه: ده بيتملق له، تلاقي واحد لازق لواحد، ملازم له ماشي رايح جاي معه تقول: أكيد ده في مصلحة معروفة فقير يتودد إلى غني ليه؟! علشان محتاجه في حاجة طيب غني بيتودد إلى فقير يبقى يريد منهم شيئًا غني { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر:١٥]

أنت كنت عدم، أنت كنت ميت { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة:٢٨].. أنت كنت عدم، ده أنت كنت احتمال من ٦٠٠ مليون احتمال. الحيوانات المنوية في القذفة الواحدة في السنتيمتر الواحد من ١٢٠ لـ ٢٠٠ مليون حيوان منوي، والقذفة حوالي ٦ أو ٧ سنتيمتر اضرب بقى ده إنت كنت احتمال واحد من كل الاحتمالات دي واخرك تراب وإنت عايش ضعيف ما فيش نفخة يعني، ومع ذلك يتودد إليك ليه.. ليه؟! عشان هو الرحمن، عشان هو الكريم تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار:٦،٧]

آه يبقى ملاحظة النعمة، ومطالعة المنة، مع مشاهدة التقصير يورثان العبد إيه بقى؟! محبة المنعم "أبوءُ لكَ بنعمتِكَ علَيَّ وأبوءُ لكَ بذُنوبي فاغفِرْ لي" تبان بقى قوي مع مطالعة الجناية.

إيه الجناية؟! ذنبك، الماضي الأسود، الماضي الأليم.

يقول ابن القيم: "فينظر إلى ما سلف منه من الإساءة"..

سيبك بقى من النور؟ ومنس الدرس؟ ومن الناس الكتير؟ عايزك تقعد لوحدك وتبدأ بقى إيه؟ تشوف الأوراق القديمة، وتبدأ تحط الضوء على نفسك: إحنا حريفة إن إحنا نلاحظ عيوب الناس، لكن نيجي نبص على عيوبنا جبان مش قادر يقف قدام نفسه.

قال ﷺ: "يُبْصِرُ أحدُكم القذَى في عينِ أخيهِ ويَنْسَى الْجِذْعَ في عينِهِ" [ابن المبارك، ابن حبان، أبو نعيم]؛ الهبو (التراب) بيشوفوا في عين أخوه، يقوله: الحق في تراب، يرد عليك: جزاك الله خير، ولما حدا ينصحه ويقوله: خد بالك بقى عندك تراب، يقول: لا معنديش تراب.

هو فعلا فش تراب بل عنده مزبلة بس هو مش شايفها ليه مش شايفها؟! لأنه مش مركز فيها ديمًا نهش عن الناس الذباب وحجرنا مملوءة بالعقارب.

- شفت فلان مجاش النهاردة.

- شفت فلان مبيعملش.

- شفت فلان مبيحضرش.

- شفت فلان ما بيشتغلش.

وإنت بقى، وإنت يا باشا آخرتها معاك إيه؟ بتعمل إيه؟ اسمك إيه عند ربنا؟ المفروض يسأل نفسه السؤال عن هذا، ده بيجبن عن هذا فينظر هتيجي معانا في (منزلة التوبة)

ابن القيم يقول: "أول التوبة أن ينظر إلى انخلاعه من العصمة، وأن الله لو عصمه من الذنب لما وجد الذنب إليه سبيلًا"؛ أول حاجة في التوبة، أول حاجة عشان تفهم أن تنظر.

مشكلتنا يا جماعة: إن إحنا نذنب ولا ننظر، دوس وامشِ، عيشها. عيش حياتك انسى، يذنب وينسى، يذنب وينسى، يذنب وينسى، والله لا ينسى {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} [المجادلة:٦]

الجوزي يقول: "إذا كنت سائرًا في طريق فتعثر ثوبك في مسمار" إنت كنت داخل الأوضة، ولقيت حاجة مسكت الجاكيت بتعمل إيه؟ بتكمل مستحيل لو كملت إيه اللي بيحصل؟ الجاكيت هيتقطع وده اللي بيحصل إنت بتكمل، وقلبك بيتقطع، قلبك بموت مش بس بيمرض.. المفروض يعمل إيه؟ يبص ويرجع يرجع خطوتين، يبص الأول ينظر ويرجع إحنا هنا بننظر، وفي التوبة هنرجع خطوتين عشان نرجع لربنا.

واحد كان ماشي في الشارع فتزحلق في قشرة موز طبيعي أول ما يقوم ويقف وينفض هدومه هيبص شوف إيه اللي وقعه؟! قشرة الموز اللي وقعت الطويل العريض ده.

بص شوف إيه اللي بوقعك؟!

يقول: "فينظر إلى ما سلف منه من الإساءة".. بص شوف قبل ما هتشوف صوت وصورة يوم القيامة {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء:١٤]

متحورش، متشتغلنيش، متشغتلش نفسك لا أنا كويس، لا أنا احسن من غيري، كل حاجة هتشوفها شوفها هنا قبل ما تشوفها هناك.. زنوها قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا.

يقول: "ويعلم إنه على خطر عظيم فيها"، يا جماعة خطر الذنوب أعظم من خطر القنابل الذرية، وأعظم من خطر الزلازل والبراكين.

* الذنوب تسبب غضب الجبار.

* الذنوب التي تسببت أن يعلو الماء الجبال، وأن يهلك الله الأرض كلها بالطوفان في عصر نوح.

* الذنوب التي أهلكت عاد بريح جعلتهم {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة:٧]

* الذنوب التي أهلكت قوم ثمود بصيحة مزقت قلوبهم في أجوافهم.

* الذنوب التي رفعت قرى قوم لوط حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ثم قلبتهم، ثم أمطرت عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة كل واحد باسمه.

* الذنوب التي سببت يوم الظلة سحابة تنزل نار على مدين قوم شعيب.

بتعمل إيه في نفسك؟! هتودي نفسك فين؟! بتنتحر ليه؟!

أنت على خطر عظيم فيها وأنه مشرف على الهلاك ليه؟!

"بمؤاخذة صاحب الحق بموجب حقه"

المشكلة يا جماعة إن إحنا عايشين كده بنلعب فاكرين الموضوع سهل! { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} [المؤمنون:١١٥،١١٦]

مخلقكش لعبة، ولا عبث، ولا لهو خلقك وأداك نعم هيطالبك بها.

إحنا في الدنيا لو مخلوق أعطى حدا حاجة، وميعلمش الشغل اللي قاله عليه هيقول له: هو أنا كنت بعطيك كده فين حقي؟ فين فلوسي؟!

آه "بمؤاخذة صاحب الحق بموجب حقه"

حق ربنا عليك: إنه خلقك، فسواك، فعدلك.

حق ربنا عليك: إن هو أنعم عليك.

حق ربنا عليك: إن هو أرسل لك الرسولﷺ، وأنزل عليك كتاب، وقال لك: اعرفني علشان اعرفك، وما تنسانيش عشان منسكش {قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ} [طه:١٢٦]، ليه؟ عشان نسيت، نسوا الله فنسيهم،{نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ} [الحشر:١٩]، ليه بتسنى نفسك؟!.....ليه بضيع نفسك؟!

وقد ذم الله تعالى من نسي ما قدمت يداه {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} [الكهف:٥٧]

"فإذا طالع جنايته": بص على جنايته، بص على ذنبه، بص على خطاياه، بص على سيئاته، يقولك: السيئة دي، الزنية دي.

ماهي الزنية دي: زنا بالعين، وزنا بالودان، زنا بالعين، وزنا بالفرج، وزنا باللسان تغسلها بقد إيه دي؟! إن كانت كلمة توقعك في النار ٧٠ سنة "إنَّ الرجلَ لَيتكلَّمُ بالكلمةِ لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا" [صحيح الترغيب]، سبعين سنة؛ علشان كلمة يا جماعة ٧٠سنة، "دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ" [البخاري]، {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور:١٥]

يقول: "فإذا طالع جنايته شمر"، عشان يستدرك الاستدراك الفارض بالعلم والعمل.

في ناس فاكرة هو عشان يستدرك ذنب إنه هو يقول: استغفر الله خلاص كده جميل الاستغفار بس التوبة إلى الله مش بس استغفار، مش بس لسان.

الذنب عامل زي الجرح أما إنت بتجرح جرح، وبينزل منه نزيف بتعمل إيه؟ بتنظفه، بتطهره، بتقفله وتغير عليه الموضوع ده بياخد قد إيه؟! ياخذ وقت طيب إن كان ده في البدن ما بالك بالقلب؟!

يا جماعة الذنوب جراحات: جراحات في قلبك.

مش عملت ذنب تقول: استغفر الله وخلاص، لا ده جرح يا أخويا محتاج مُداواة، ومحتاج تطهير، ومحتاج تغيير، ومحتاج حاجة توقف النزيف، محتاج توبة، والتوبة علم.

"أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي" [البخاري]، علم، يبقى التوبة إيه؟

علم: تعرف ربنا بالعلم والعمل

- {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} [الفرقان:٧٠،٧١]
- "وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها" [المصدر: صحيح الترمذي]
- { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود:١١٤]

عشان كده التوبة شروطها عند كل العلماء أربعة إلا ابن القيم عنده التوبة لها ست شروط:

١- ندم.

٢- عزم على عدم العودة إلى الذنب.

٣- الإقلاع عن الذنب.

٤- ورد المظالم إلى أهلها.

٥- إيمان بأن الله كان يراك حال الذنب.

٦- عمل صالح، ده نتطرق إليه في منزلة التوبة.

يقول: "ويتخلص من رق الجناية"..

رق يعني إيه؟ أسر، كلابوش.

الناس محبوسين في طباعهم، محبوسين في ذنوبهم.

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لما حبسوه وقفلوا عليه الباب قال: "المحبوس من حبسه هواه، والمأسور من أسر قلبه عن الله" أوعى تفتكر أن المحبوس هو المحبوس بدنه، لا المحبوس اللي اتحبس قلبه.

- هو قرفان من اللي ماشي معاها دي مش عارف اسيبها.

- قرفان من السجاير مش عارف يسيبها.

- قرفان من الإدمان مش عارف يسببه.

* إيه اللي حصل؟!

أسروه، أسره الشيطان أصبح من الأسرى محتاج إيه عشان يتحرر؟! أن يكسر هذا القيد، ويحرر قلبه، ده محتاج لعزيمة، ومحتاج لإرادة.

يقول: "بالاستغفار والندم، وطلب التمحيص"

إنه يستغفر ويندم ويدعو ربنا أن الله تبارك وتعالى يمحصه من الذنب، أي يخلصه منه، يصفيه من هذا الذنب.

يقول: "التمحيص هو تخليص إيمان معرفته من خبث الجناية، كتمحيص الذهب والفضة وهو تخليصهما من خبثهم"..

حد شاف ذهب بتسيح قبل كده، الناس الصنايعية يجيبه حتة ذهب وفيها وسخ كده بيقولوا عليه الكورجيه طمش فيدخلوه النار ليه؟

عشان يبرق، النارددي نار، يعني إيه نار؟!

يعني ولعة، يعني إيه؟! يعني بتلسع، يعني إيه؟! يعني بتألم.

إنت مع قلبك اللي فيه طمش هتحتاج تدخله النار.... نار إيه؟!

نار التخلص من الذنب.

يقولك: نفسي أتوب بس مش قادر.. لا إنت قادر بس مع ألم، بس إنت مش عايز تتألم.

يقول لك: نفسي اسيبها مش قادر.. لا إنت قادر بس إنت مش عايز ألم، وما مفيش حلاوة يا اخويا من غير نار.

كيلو اللحمة بكام النهاردة؟!٦٠، ولا ٧٠، ولا ٧٤ ولو واحد بيغلي شوية يبقى٨٠ ، طيب الجنة سلعة الله الغالية عايز تاخدها كده يا خويا {وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} [الأنفال:٧]

الصحابة اللي بذلوا كل حاجة ربنا بيقول لهم: أنتم عايزينها كل حاجة وانتوا مرتاحين! مفيش كده مش بالراحة هي!

من أراد الراحة ترك الراحة، ولا ينال النعيم بالنعيم، عايز تنال نعيم الجنة؟ مش بنعيم الدنيا، مش بشد اللحاف، مش بالسنكحة، مش بالأكل والشرب، إنما بالتعب، وعرق الجبين.

بيقولوا: أكل العيش مر، فمابالك وإحنا عايزين الجنة؟!

يقول: "وهو تخليص إيمانه، ومعرفته من خبث الجناية كتمحيص الذهب والفضة وهو تخليصهما من خبثهما، ولا يمكن دخوله الجنة إلا بعد التمحيص"

إنت عايز الجنة ولا حاجة ثانية؟! عايز الجنة والله.

متقوليش إنت عايز الجنة والله وإنت نايم، وإنت حاطط إيدك على خدك، وإنت قاعد على فيسبوك ١٢ ساعة، وإنت بتبعتلي كل يوم دعوة للمزرعة السعيدة.

الجنة محتاجة تمحيص، محتاجة نار؛عشان تلاقي حلاوة، محتاجة توبة، محتاجة استغفار، محتاجة تضرع لله تبارك وتعالى. محتاجة علم وعمل، محتاجة تضحية، محتاجة بذل، محتاجة عطاء، محتاجة بهدلة شوية؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا طيب.

- لازم تكون نظفت وطهرت وتوضيت؛ عشان تدخل.

- لا يدخلها إلا طاهر القلب.

يقول: " فإنها طيبة لا يدخلها إلا طيب، ولهذا تقول لهم الملائكة: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، وقال تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} [النحل:٣٢]

فليس في الجنة ذرة خبث.. مفيش ولا ذرة خبث عشان كده لازم تتنظف، لازم تتطهر، لازم تتغسل، لازم نتوضأ، فإذا قام بذكر الله إذا توضأ حلت عقدة فإذا توضأ حلت الثانية.

يقولك الوضوء والتمحيص ده بـ١١حاجة نقف معها الأسبوع القادم إن شاء الله تبارك وتعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم اللهم ربنا وبحمدك اشهد ان لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.